الخوف والرجاء (خطبة)



سعد محسن الشمري

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 26/8/2025 ميلادي - 3/3/1447 هجري

الزيارات: 953

الخوف والرجاء

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102].

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1].

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70، 71]، أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، إن العبودية لله تعالى لا تقوم ولا تتحقق إلا بمحبة الله عز وجل ورجائه والخوف منه، فهذه هي أركان العبادة: الحب والخوف والرجاء.

الخوف من الله عز وجل ورجاؤه سبحانه مبني على محبته تعالى؛ ولهذا حَثَّنا الله عز وجل على فعل الطاعات، وبَيَّن لنا فضلها وثوابها وثمراتها لنكثر منها، حتى إن العبد يسمو بها إلى الدرجات العالية والمنزلة الرفيعة عند الله عز وجل.

ووصف لنا ربنا عز وجل الجنة وما فيها من أنواع النعيم والكرامة:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين"[1].

وفي القرآن الكريم من وصف الجنة ما لا مزيد عليه، وقد حذرنا الله عز وجل من معصيته، وبَيَّن لنا عاقبة مَنْ عصاه وتمرَّد عليه، وإثم من عصى، وأثر تلك المعاصي في قلب العبد وعمله حتى نبتعد عن كل ما فيه مضرة لنا في الدنيا والآخرة.

كل هذا حتى يكون العبد دائمًا بين الخوف والرجاء، لا يأمن عذاب، ولا ييأس من رحمة الله عز وجل.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ [المعارج: 27].

﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [فصلت: 43].

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الرعد: 6].

﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [البقرة: 40].

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج: 12].

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: 28].

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: 34 - 37].

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: 1، 2]. ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: 46].

وقد جاء من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ما يثمر في قلب المرء الخوف من الله عز وجل وخشيته لله تعالى حق خشيته:

• عن شقيق، عن عبدالله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها"[2].

• عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا، وإنه لأهونهم عذابًا"[3].

• عن أنس رضي الله عنه، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبةً ما سمعت مثلها قط، قال: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا"[4].

• عن أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء وحق لها أن تئطّ، والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله"[5].

• عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تحشرون حُفاةً عُراةً غُرْلًا" قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضُهم إلى بعض؟ فقال: "الأمر أشدُّ من أن يهمهم ذاك"[6].

• عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه؛ ينتظر أن يؤمر فينفخ؟!"، فكأن ذلك ثقل على أصحابه، فقالوا: كيف نفعل يا رسول الله؟! أو نقول؟! قال: "قولوا: حسبنا الله، ونعم الوكيل"[7].

عباد الله، عن عدي بن حاتم، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة، ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئًا قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة"[8].

• عن أبي هريرة، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة"[9].

عباد الله، إن العبد إذا علم أن الله شديد العقاب.. شديد العذاب.. ذو انتقام.. حمله على أن يخاف من الله عز وجل، فيسارع إلى العمل الذي ينجيه من عذاب الله تعالى من الإيمان والعمل الصالح، والذي ينتفع بهذه الآيات والأحاديث هم أهل الإيمان الذين:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان: 73].

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: 2].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم وبهدي سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله، من أعظم الآيات رجاءً في الله عز وجل وفي دار كرامته: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: 53].

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: 110].

﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: 22].

فالمرء عباد الله يملأ قلبه رجاءً في الله عز وجل، وفي دار كرامته، يطمع أن يكون من أهل الجنة مع العمل الصالح، وذلك بأن الله تعالى يقبل توبة من تاب، ويقرب عبده الصالح إليه، وأن الله سبحانه وتعالى واسع الرحمة، واسع المغفرة، سبقت رحمته غضبه، أعَدَّ لأهل طاعته جنات النعيم، فيها من صنوف النعم ما فيها، ليس ذلك إلا للمتقين، واستمع- رعاك الله- لما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في الرجاء:

• عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الله لما قضى الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي"[10].

• عن أبي صرمة، عن أبي أيوب، أنه قال حين حضرته الوفاة: كنت كتمت عنكم شيئًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "لولا أنكم تذنبون لخَلَق اللهُ خلقًا يذنبون يغفر لهم"[11].

• عن صفوان بن محرز، قال: بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجل، فقال: يا أبا عبدالرحمن - أو قال: يا ابن عمر • سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في النجوى؟ فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "يدنى المؤمن من ربه • وقال هشام: يدنو المؤمن - حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف مرتين، فيقول: سترتها في الدنيا، وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته"[12].

• عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي. يا ابن آدم، إنك لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم، إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة"[13].

عباد الله، عن عبدالله رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك"[14].

فاتقوا الله واعملوا صالحًا، وأقيموا أمر ربكم، واجتنبوا ما نهاكم عنه.

نسأل الله عز وجل أن يمنَّ علينا هدايةً من عنده، وأن يملأ قلوبنا خوفًا ورجاءً ومحبةً له.

---

[1] صحيح البخاري (3244).

[2] مسلم (2842).

[3] مسلم (213).

[4] البخاري (4621).

[5] ابن ماجه (4190)، وحسَّنه الألباني.

[6] البخاري (6527).

[7] الترمذي (3243)، وصححه الألباني.

[8] البخاري (6539).

[9] الترمذي (2450).

[10] البخاري (7422).

[11] مسلم (2748).

[12] البخاري (4685).

[13] الترمذي (3540)، وحسنه الألباني.

[14] البخاري (6488).
